اثر جديد من الفسيفساء

في دمشق

ترامى الى ادارة دار الآثار العربية انه بينما كان احدهم يحفر أساساً في داره على مقربة من الجامع الأموي بين زقاق السلطان صلاح الدين والجامع الأموي الى الشمال الغربي ظهر على عمق اربعة امتار قطع مكعبات من الفسيفساء. فذهبتُ الى المحل المذكور للتحقيق فلم يكن هناك لحسن الطالع بناء يعوق سير العمل والتنقيب، وبعد رفع التراب ظهرت قطعة ارض مرصوفةً بالفسيفساء الملونة، مزينة بصور الطيور والحيوانات، متقنة الصنع، محكمة الوضع، حسنة الترتيب، فحددت اطرافها الثلاثة الشمالية بجملتها وقسماً من الشرق والغرب بطول ٣٫٢٥ متر مكعب وعرض ٠٫٧٥ سنتيمتراً وبسبب حفر اساس في القديم أتلفت القطعة الجنوبية فيها او ربما كان فصل بينها وبين البقية المتممة التي تمتد الى الجنوب وشوه قسم منها وقد قسمها الصانع الى ثلاثة اقسام ففي الزاوية الشرقية الشمالية مربع فيه صورة طير حجل مشوه رأسه جعل في دائرة وفي الزاوية الغربية الشمالية مربع فيه صورة عنقاء مشوه رأسها في دائرة شبيهة بالاولى وبينهما القسم الثالث وهو أهمها واكبرهما حجماً وهو سالم غير مشوه مستطيل الشكل فيه صورة غزالين او ثعلبين متقابلين وخلف كل منهما طير، وفي الوسط شكل نباتي ويضم جميع ذلك بعضه الى بعض من الاطراف الثلاثة نطاق بشكل مجدول.

من الصعب البتُّ في تاريخ هذا الاثر لانه مغفل من كل كتابته او تاريخ يرجع اليه، وكل مايمكن استنتاجه من الصور والرموز بانها ليست من المسيحية على شيء. ولو لمكن التوسع في الحفر وظهر البناء او القسم المتمم لقطعة الفسيفساء لعثرنا على ماينير سبيلنا ويسهل علينا بحثنا ويجوز بان يكون البناء في بعض الاحيان اقدم من زخارفه اما لكونها زينة حادثة بعد البناء او لما طرأ عليها من تغير وتبديل حين الترميم في القديم وهكذا وقع لقطعتنا هذه كما وقع لكثير من امثالها التي ظهرت في امكنة مختلفة.

ويرى المتأمل في هذه القطعة بعض الاختلاف في نوع المادة المركبة منها وحجم مكعباتها تختلف بين صورة وأخرى، وهذا ظاهر في بعض اقسامها وخصوصاً في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

صورة الغزالين او الثعلبين فالذي في جهة اليمين تختلف الوانه عن الذي في جهة اليسار . فترى في الاول الواناً كثيرة من ابيض واسود واحمر واخضر وازرق ومذهب وقطع مكعباته اصغر حجماً من البقية . اما الثاني فهو بسيط اختصر فيه على الألوان الثلاثة الابيض والاسود والاحمر وقطع مكعباته بحجم بقية القطعة . وما اظن هذا التباين هو مقصود من الاصل بل ذلك حادث حين الترميم الذي وقع بعد ذلك .

وانه لصعب علينا والحالة هذه معرفة تاريخ انشاء هذه القطعة ولكن من السهل التمييز بين القديم والحديث منها . فالقسم القديم الباقي هو القسم الاكبر ، مكعباته حجرية و بحجم واحد والوانه طبيعية وقد دام استعمال هذا النوع طويلاً حتى في عهد تطور هذه الصناعة ورقيها . واما القسم المحدث منها فقد استعيض عن الاحجار الطبيعية بمكعبات صناعية زجاجية بألوان خضراء وزرقاء ومذهب وهذا النوع وخصوصاً لون المذهب لم يشع استعماله الا في آخر العهد البيزنطي . نعم ان النوع القديم البسيط قد استعمل في كل ادوار الفسيفساء ولو كانت جميع صورها على شكل الصور الملونة لما ترددت بانها من العهد البيزنطي المتأخر . اما وفيها صورة بسيطة فهي تدعو الى الاعتقاد بان الزجاج الملون أضيف حين الترميم في ازمنة متفاوتة . ولا عجب بذلك لان الفسيفساء سريعة العطب وتحتاج لحفظها من التلف الى إصلاحات موضعية من وقت الى آخر او تجديدها برمتها .

ومن الحكمة ان لا نتسرع بالحكم على عهدها ، وعلينا ان نتربص ريثما ينتهي رفع التراب والردم المتراكم على هذا المكان . فعسى ان نجد من الادلة ما نطمئن اليه ونعتمد عليه وان لم نجد الى الآن ما يدل على نوع هذا البناء ، غير انني عثرت على ارتفاع متر من سطح ارض البناء على جزء حوض ماء من الفخار قعره مرصوف بالفسيفساء الحجرية البيضاء ومكعباته هي اكبر حجماً من مكعبات ارض الغرفة باضعاف ، وكذلك وجدت قطع قساطل من الفخار وآثار مجرى ماء . فأظن ان الجميع من عهد واحد وان لم أعثر على ما يؤيد ذلك ولا يبعد ان يكون هذا البناء حماماً لصغر مساحته . والاقدمون كانوا في ذاك العهد يعتنون بحماماتهم العامة والخاصة و يرصفون ارضها و يزينون جدرانها بانواع الفسيفساء والرسوم والنقوش .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهذه القطعة هي اول فسيفساء ظهرت في دمشق من ذاك العهد فعسى ان تكون هذه المصادفة فاتحة لغيرها من الاكتشافات المفيدة النافعة .

مدير دار الآثار العربية

جعفر الحسني